

الحلقة الحادية والعشرون

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تكلمنا في اللقاء السابق عن مثل المداين لمديونين، الذي سامحهما عن دينهما. وبالطبع إن الشخص الذي سامحه بالأكثر كان أكثر حباً له. هكذا نحن عندما تكون خطايانا كثيرة، فإن حبنا لله سيكون أكبر.

لو طرحنا السؤال الآن على المستمعين: أيهما أفضل الذي يتكلم ولا يفعل أم الذي يفعل ولا يتكلم؟ لكان الجواب أن الذي يفعل ولا يتكلم هو أفضل من الشخص الذي يتكلم ويبيد الاستعداد بالقيام بعمل ما، لكنه في النتيجة لا يفعله. حول هذا الموضوع تحدث المخلص المسيح بمثل إلى رؤساء اليهود. وكان المخلص المسيح قد دخل مرة إلى الهيكل وأخذ يعلم. فواجهه رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود، وسألوه بأي حق يعلم؟ ومن منحه هذا السلطان. فأجابهم المسيح: وأنا أيضاً أسألكم، فإن أحبتموني أقول لكم بأي سلطان أعلم. وكان سؤاله لهم: من أين كانت معمودية يوحنا؟ من السماء أم من الناس؟

« ففكروا في أنفسهم قائلين: « إن قلنا: من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا: من الناس، نخاف من الشعب، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي ». فأجابوا وقالوا: « لا نعلم ». فقال لهم المسيح أيضاً: « ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا ». عندئذ قال لهم المخلص المسيح: « ماذا تظنون؟ كان لإنسان ابنان، فجاء إلى الأول وقال: يا ابني، اذهب اليوم اعمل في كرمي. فأجاب وقال: ما أريد. ولكنه ندم أخيراً ومضى. وجاء إلى الثاني وقال كذلك. فأجاب وقال: ها أنا يا سيدي. ولم يمض. وهنا سألهم المسيح قائلاً: فأأي الاثنين عمل إرادة الأب؟ » أجابوه: « الأول ». فقال لهم: « الحق أقول لكم: إن العشارين والزواني يسبقونكم »

إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ، لَأَنَّ يُوْحَنَّا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا الْعَشَارُونَ وَالزَّوَانِي فَأَمَّنُوا بِهِ. وَأَنْتُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ لَمْ تَنْدَمُوا
أَخِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِهِ» (متى ٢٣: ٢١ - ٣٢).

مستمعي الكريم، لقد أراد رؤساء اليهود تحدّي المسيح عندما سألوه بأي سلطان يعلم. لكن المسيح كشف خداعهم، عندما سألهم عن النبي يوحنا المعمدان (المعروف بالنبي يحيى) ومعمودية التوبة بالماء التي كان يقوم بها، وإن كانت من السماء أي بأمر إلهي، أم من الأرض. فوقفوا متحيرين، ولم يستطيعوا إجابته بسبب خوفهم من الشعب، لأن يوحنا كان عندهم مثل نبي. وهكذا رفض المسيح إجابتهم عن سؤالهم: بأي سلطان يعلم؟ ثم أردف وتحدّث بمثل عنهم. مشبّها إياهم بالابن الثاني الذي عندما طلب منه والده الذهاب إلى الحقل ليعمل فيه، قبل في البداية، لكنه لم يذهب.

والعجيب أنهم هم الذين أدانوا أنفسهم دون أن يدروا، عندما سألهم المسيح: أي الاثنين عمل إرادة الأب؟ فأجابوا الابن الأول. أي الذي رفض في البداية لكنه عاد وندم وذهب إلى الحقل ليعمل فيه. بينما هم كالابن الثاني، فيتظاهرون أنهم يريدون إطاعة الله والعمل بوصاياه، لكنهم في الحقيقة لا يفعلون. لكن الأعب من هذا، أن المخلص المسيح شبّه الابن الأول الذي رفض في البداية طلب والده، ثم عاد وندم وذهب إلى الحقل، شبّهه بأعتى الخطاة من العشارين - أي جباة الضرائب الظالمين - ومن الزناة. وأن هؤلاء قد سبقوا رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب إلى ملكوت الله. أما السبب فهو لأنهم تابوا وآمنوا أولاً ببشارة يوحنا المعمدان، واعتمدوا على يديه. ومن ثمّ آمنوا ببشارة الخلاص المفرحة التي كرز بها المخلص المسيح. وهكذا دخلوا إلى ملكوت الله. بينما رفض رؤساء اليهود تصديق رسالة يوحنا المعمدان الصحيحة، ولم يندموا، بل استمروا في عنادهم.

مستمعي الكريم، كما لاحظنا من هذا المثل الذي قصّه المخلص المسيح للقادة اليهود، أن الخطاة البعيدين جداً عن الله، قبلوا خلاص الله، وصاروا من أولاد الله ودخلوا إلى ملكوته. بينما القادة المتدينون المغرورون بأنفسهم، ظلوا خارجاً واستحقوا دينونة الله. وهذان الصنفان من البشر نجدهما في كل زمان ومكان. فداًئماً هناك أدياء الدين، الذين يلبسون ثياب التدين، ويمارسون الطقوس الدينية، ويؤدون الفرائض. ويظنون أنهم أناس صالحون، وليسوا بحاجة إلى التوبة عن خطاياهم. لكنهم في الحقيقة هم أناس خطاة بحاجة كغيرهم إلى التوبة والإيمان.

وفي المقابل هناك دائماً الناس الذين يعترفون بأنهم خطاة وبحاجة إلى رحمة الله وغفرانه لخطاياهم. وهؤلاء نراهم يقبلون رسالة الخلاص المفرحة عندما يسمعونها، فيتوبون عن خطاياهم، كثيرة كانت أم قليلة، ويؤمنون بالمخلص المسيح. وهكذا ينالون خلاص الله ويدخلون إلى ملكوته.

وأنت مستمعي في أي صنف تضع نفسك؟ هل أنت من أولئك الذين يدعون التدين؟ وتظن أنك بتأديتك للفرائض الدينية من صلاة وصوم وزيارة للأماكن المقدسة ومساعدتك للفقراء تتال رضى الله؟ وأنت بالتالي إنسان صالح ولست بحاجة إلى التوبة عن خطاياك؟ أم تعترف أنك إنسان خاطئ كباقي البشر جميعاً، وأنت بحاجة إلى غفران الله لخطاياك؟

أرجو أن تعتبر نفسك من هذا الصنف. إذ عندما تعترف بحقيقة نفسك الخاطئة، تستطيع أن تتواضع أمام الله، وأن تتوب عن ذنوبك وتؤمن بالمخلص المسيح، فتتال الغفران الكامل وتصبح من أولاد الله. لقد حضر الله الخلاص الكامل، عندما أرسل المخلص المسيح لكي يموت على الصليب من أجلك، آخذاً دينونة خطاياك. وما عليك سوى التوبة والإيمان بهذا المخلص الفريد. فهل تفعل وتكون مثل الابن الأول الذي عاد وندم أي تاب، فنال البركة.